انتكاسة العامل واضطراب الفعل في رواية مملكة الفراشة مقاربة سيميائية من منظور سيمياء الأهواء

الأستاذة غزالة شاقور
المركز الجامعي لميلة/ الجزائر

شهدت السيميائيات في العقود الاخيرة تطورا في الرؤيا من خلال انبثاق مباحث جديدة تحاول تجاوز الاهتمام بأفعال الذات، بالإقبال على تبيان حمولة الوحدات السيميائية وقدرتها على كشف مضمرات وكوامن هذه الذات. وإن كانت الأرضية النظرية لهذا التطور قد استمدت مفاهيمها" من السيميائيات الكلاسيكية بتعبير فونتيني، أي مما جاءت به سيميائيات الفعل أو السيميائيات السردية بحصر المعنى إن الأمر يتعلق بتنويع على الأصل، أو هو الانفتاح المتزايد على مناطق انسانية جديدة لا تلغي النموذج النظري الأصل، بل تقوم بإغناء مفاهيمه وتوسيع دائرة اشتغاله"[1].

فالسيميوطيقا الجديدة كما يقول جميل حمداوي قد انتقلت من حالات الأشياء مع سيمياء العمل، إلى حالات النفس مع سيمياء الأهواء، ومن سيمياء الانفصال والانقطاع إلى سيمياء الاتصال والإدراك الكلي للأشياء والذات على حد سواء. فالعامل يعمل(سيمياء العمل) ويتكلم(سيمياء الكلام) محاولا الاقناع المتلقي(سيمياء التواصل) وقد يلجأ إلى التحايل والتلاعب(سيمياء التطويع)، ولكن في خضم كل هذا هو يحس ويشعر(سيمياء الأهواء) وربما مشاعره هذه هي السبب الخفي الدافع إلى قوله وإلى فعله.

وسيمياء الأهواء نتاج مباشر للتطورات التي شهدها الدرس السيميائي واستحدثتها مدرسة باريس ينصب اهتمامها على دراسة الأهواء، وتدخلها المباشر في تفعيل برامج قابلة للتحقق، بحكم كثافتها وضغطها وتوجيهها للفاعل، إلى جانب دراسة شبكة العلاقات التي تقيمها الذات مع العالم ومع بقية الذوات من حولها. وتتحدد فيها درجات القرب والبعد، من خلال جملة أهواء موجهة ومأثرة مسبقا في هذه الذات، وتجليات هذه الاهواء داخل

الخطاب وتوجيهها للدلالة فيه.

في سيمياء العمل كان تحقق البرنامج السردي من قبل العامل هو مدار الاهتمام، والعناية منصبة على العالم الخارجي حيز تحقق الفعل والموجود خارج الذات، فما يميز العامل هو فعله. لكن في سيمياء الاهواء حصل نوع من الانقلاب حيث اصبح الاهتمام منصبا على عالم الداخل بعوالمه الدفينة داخل الذات والتي تدفع العامل للفعل وتحدد قابليته لإنجازه، أي أن العمل أصبح ملحق لما هو داخل الذات ودليل عليه، فما يميز العامل هو عواطفه وأهواؤه المسببة والدافعة للفعل.

فما يميز سيمياء الاهواء هو ذلك النزوع والانحياز للداخل وهو ما كان مستبعدا في سيمياء العمل بسبب سيطرة روح البنيوية عليها، والمعروف عن هذه الأخيرة قتلها للذات(موت الاله/ موت الانسان/ موت المؤلف)، وهو ما يجعلنا نعتقد بأن سيمياء الأهواء جاءت لتعبر عن ذلك الارتداد والانتكاس نحو الداخل بعد أن اكتشفت الذات ضمورها وتشظيها في ظل عالم تسيطر عليه سياسات التشييء والتطويع والتدجين سياسات الاخضاع الممنهج والناعم.

فسيمياء الأهواء بحث في الجانب الشعوري للذات الانسانية وتأثيره على الفعل والسلوك وتحديده لردود الفعل العقلية والنفسية، كدراسة مشاعر الحب والكراهية، السعادة والحزن، الأمن والخوف، الطموح واليأس وتجسدها في الخطابات الابداعية، والتوترات القائمة بين الذات الاستهوائية والعامل الموضوع، وكذا العلاقات التفاعلية القائمة بين الشعور والادراك.

وقفة عند مفهوم الهوى:

لا يعترف بالهوى إلا وهو مسيج، فهو شعور مدان، وإحساس متهم أجمعت الاحكام الاخلاقية والنظم الثقافية على خطورته، لأنه سمة الذات في أوليتها البدائية، فهو سابق عن المعرفة" فقبل أن تكون هناك ذات عارفة، لم تكن هناك سوى كتلة انفعالية موجودة خارج أي تمفصل"[(2)]

ولهذا عده البعض جنونا والبعض الآخر فوضى والبعض تشويش وتهديد وأجمعت الاديان على إدانته لأنه مفتاح الابتداع وباب الظلالة، ففي الاسلام أجمعت الآيات التي

ذكر بها الهوى على استهجانه وذمه ومن بين هذه الآيات قوله تعالى:﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ**﴾[3]، وقوله ايضا﴿ **ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك**﴾[4]

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي: الْهَوَى، وَطُولَ الْأَمَلِ، فَأَمَّا الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيَصُدُّ عَنِ الْآخِرَةِ.

وفي الانجيل ورد في رسالة بولس: أَمِيتُوا أَعْضَاءَكُمُ الَّتِي عَلَى الأَرْضِ: الزِّنَا، النَّجَاسَةَ، الْهَوَى، الشَّهْوَةَ الرَّدِيَّةَ، الطَّمَعَ الَّذِي هُوَ عِبَادَةُ الأَوْثَانِ، الأُمُورَ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا يَأْتِي غَضَبُ اللهِ عَلَى أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ"[5]

والهوى ليس مذموم في ذاته بل بما يخلفه من انفعال يأثر على العقل والسلوك ويبعد عن الحقيقة والأخلاق" فالحكم الاخلاقي لا ينصب على كينونة المشاعر في ذاتها، بل يحكم على الفائض الانفعالي، الذي يحول هذه المشاعر إلى هوى أي إلى طاقة تعوق نمو المجتمع وتحد من تطوره"[6]

والهوى شعور وطاقة داخلية دافعة مرتبطة بكينونة الذات، فهو" ليس عارضا أو مضافا أو طارئ، ونحن نحتفي بعقل لا يأتيه الباطل من كل الجهات، إنه جزء من كينونة الانسان وجزء من أحكامه وميولاته وتصنيفاته"[7] يتحكم بعالمه الداخلي، ويسير بصورة غير مباشرة أفعال الذات وردات أفعالها، يتجلى من خلال الخطاب والسلوك.

فالأهواء تنبؤ عن الافعال وشدة توترها دليل على إرادة وقدرة الذات على الفعل، فمن خلالها تزود الذات بطاقة انفعالية دافعه لإنجاز الفعل مهما كان ايجابيا أم سلبيا، أو طاقة انفعالية مثبطة تسبب العزوف عنه. ولهذا نستطيع القول بأن الهوى هو سبب الفعل، والفعل نتيجة الهوى." واستنادا إلى هذه الرؤية تبحث السيميائيات في ذاكرة الهوى في تحققاته وفي قدرته على توليد نسخ فرعية هي المدخل الأساس من أجل تحديد حالات الاعتدال والتطرف"[8]

وتسعى هذه الورقة البحثية إلى تقديم قراءة في رواية مملكة الفراشة للكاتب واسيني الأعرج، وهي واحدة من الروايات القائمة على ذلك التفاعل الضمني بين الأهواء والأفعال. إذ

تظهر أفعال الذوات انعكاسا لكوامنها الداخلية. وهذا بالعمل على وصف آليات اشتغال الدلالة الاستهوائية في هذه الرواية. فالأهواء قد تجعل من الفعل متجاوزا لحدود المقبول، غير منطقي متطرف في مبادئه شاذ في أهدافه، مخلفة بذالك آثارها على هذا الفعل وعلى الخطاب المعبر عنه. وبالرغم من تداخل مجموعة من الاهواء وبروزها في هذا الخطاب الروائي إلا أن هذه الورقة قد اختارت الوقوف عند هوى الخوف.

التمظهر المعجمي أو القاموسي للخوف:

الخوف من خَافَ يَخَافُ خَوْفًا وخِيفَةً وهو الذعر والفزع، ويعرفه الجرجاني بقوله: " توقع حلول مكروه أو فوات محبوب"[9] وقد وردت كلمة الخوف في القرآن الكريم مع مشتقاتها المختلفة بمعان مختلفة كالهزيمة والحرب والدراية. وفي الدين الاسلامي الخوف الوحيد المبرر والمطلوب والمحمود هو الخوف من الله، وفي القرآن الكريم عديد الآيات التي تدعوا إلى الخوف من الله وخشيته كقوله تعالى:﴿ **فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾[10]، وقوله تعالي:﴿ **فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ**﴾[11] لأن الخوف من المخلوق ينفر منه، إلا الخوف من الخالق يقود إليه. وقد عده المتصوفة من المراتب العلية في السلم الصوفي يقول عمر بن مسلمة النيسابوري: الخوف سراج في القلب، به يبصر ما فيه من الخير والشر، وكل أحد إذا خفته هربت منه، إلا الله- عز وجل- فإنك إذا خفته هربت إليه.

الخوف ردة فعل طبيعية يبديها الإنسان عندما يستشعر تهديدا ما، وهو شعور مرتبط بكيان الذات يظهر عندما تستشعر خطرا يهدد موضوعها أو كينونتها، خطر موضوعي ناتج عن سبب موضوعي بأمارة معلومة وجلية تدركه الذات وتدرك مصدره، أو خطر غير موضوعي بأمارة مضنونة ذو منشأ خيالي لا يشكل تهديدا على الذات ومع ذلك يولد لديها مشاعر خوف تسيطر عليها، هو ناتج غالبا عن أفكار مخيالية تسيطر على العقل مصدرها العقل الباطن.

ويقترن الخوف بحالة من التردد في الفعل نتيجة التهديد المحدق بالذات، فهو انعكاس لأزمة إرادة تعانيها الذات، يتمظهر من خلال عدة علامات هي بذاتها تعتبر أهواء اخرى تتنازع الذات مثل القلق الشك(الذي ينتهي إلى فقد الثقة بالآخرين) ممزوج باليأس بإمكانية انتهاء هذه الحالة، وهو ما يمهد لدخول الذات في حالة من الاستسلام النهائي.

وإن كانت دلالة الخوف لا تحدد إلا في ضوء حالات أخرى مثل: الاحتراس والاتقاء والتوجس والحيطة والهيبة والخشية والفزع والذعر والجبن من ناحية ومن ناحية ثانية الاستقرار والارتياح والاطمئنان والأمن، تماما مثلنا لا تتحدد صورة الخائف إلا بوقوعه بين صور أخرى للمقدام والجرئ والجسور والشجاع والباسل. وكذلك صور الهياب والمتخاذل المتقاعس الخائر والخانع والجبان.

والرواية تركز على فاعل أساسي وهو البطلة ياما التي عاشت طفولة سعيدة آمنة في ظل أسرة مثقفة ومسالمة مفرطة الاهتمام بالفن والأدب والمعرفة، تمتعت بحرية شخصية أمنتها لها العائلة وربتها عليها. خاضت تجاربها الخاصة في الحياة والحب ومارست قناعاتها بجرأة، ولكن بدخول البلاد مرحلة الحرب بدأ اضطراب هذه الشخصية باضطراب ما حولها بسب انتشار مظاهر العنف والرعب، وهو ما ادخلها في حالة من التخوف والقلق لتأتي الصدمة بقتل المقربين منها(الصديق/ الأب) وهما شخصان بريئان لا علاقة لهما بما يحدث، وهو ما يفتح المجال امام هذه الشخصية للدخول في حالة من السخط والكره المشوب أحيانا باللامبالاة، تنتهي الحرب ولكن آثارها لا تنتهي ويبقى الخوف من الموت مسيطرا على البطلة التي تنعزل محاولة البحث عن تعويض يمنحها نوعا من الاستقرار النفسي، والذي وجدته في العالم الافتراضي(الفيسبوك) عندما كونت علاقات عبره منها علاقة حب بفنان مسرحي اختار المنفى بسبب التهديدات التي طالته، ودفعت به للرحيل ولكن للأسف تكتشف زيف هذا العالم في النهاية، وهو ما يمثل الصدمة الثانية لها والتي تعتبر صدمة الشفاء، حيث تتخذ البطلة قرار المواجهة والعودة إلى الحياة من خلال عيش الواقع كما هو وليس بالهرب منه.

ونظرة على الرواية نلاحظ بأن هناك حالات من التحول في المسار الهووي للفاعل مع موضوعه تراوحت بين الانفصال والاتصال وهو ما يشكل إجمالا الخطاطة الاستهوائية كمقابل للخطاطة السردية في سيمياء العمل، وبالرغم من أن الرواية لم تأتي بخطية كلاسيكية وانبنت على التشظي الزمني حيث بدأت من لحظة الاضطراب وسيطرة المخاوف على الذات، والمشهد السردي الاول من الرواية معبرا عن درجة الاضطراب التي وصلت إليها، يقول الراوي:" **هذه المرة لم أجد صعوبة كبيرة في فتح الباب منذ أن غيرت المفاتيح القديمة**

التي تصدأ بعضها أو على الأقل هكذا بدا لي إذ كلما كنت متسرعة في الوصول إلى البيت، تثبت المفتاح على وضعية واحدة ولا يتحرك إلا بصعوبة كبيرة، وبعد محاولات يائسة يكون قد تجمد فيها دمي، وتحول إلى قطعت ثلج من شدة الخوف الذي يجتاحني كليا، لا يمكنني أن لا اتساءل وأنا داخل رعشة الريبة: ماذا لو كان قاتل مجنون معتوه يتعقبني؟ يبدو ان أمي نقلت إلي كل خوفها وذعرها من الاصوات التي لم يكن أحد يسمعها غيرها."[12]

هذا الحالة من التشظي والاهتزاز الداخلي انتهى بالعامل الذات إلى حالة من الانسحاب والاستسلام فعوض أن تتحرك الذات نحو انهاء سطوة المهدد عليها اختارت الهروب منه والسبب وراء هذا التراجع يعود إلى المخاوف المسيطرة عليها والتي نستطيع أن نقول بأنها قد ثبطت إرادة الفعل عندها أو دفعتها إلى فعل ذو منحى سلبي، يقول الراوي على لسان ياما" **عندما قتل ديف الذي كنت متعلقت به، تغير كل شيء انفصلت عن فرقة ديبو جاز وذهب كل واحد منا في اتجاه غضبنا في البداية من خروج صافو فتبعناها كلنا في النهاية"**[13] لتأتي بعدها مرحلة انتقلت فيها الذات إلى مستوى المقاومة الرمزية المشوبة بالريبة والشك حيث نلاحظ خلالها محاولات الذات للخروج من هذا الوضع الضاغط يقول الراوي على لسان ياما" **نحن نجتهد يوميا وفي أقسى الشروط لكي نزيل بعض الظلمة عن يومنا حتى يخترقه بعض النور وننسى أننا غرقى حتى الموت في عمق السواد و القلق"**[14]

ليختار بعدها المسار السردي العودة إلى الوراء إلى النقطة التي فجرة مخاوف الذات مرحلة الصدمة وتشمل(مقتل الصديق ديف والأب الزبير وسجن الأخ ريان، هجرة الأخت ماريا) لتأتي مرحلة الاضطراب والتشظي النفسي بين الواقع والوهم نتيجة التشظي بين المواجهة والانسحاب في ظروف قاهرة تهديدات امنية، تعنت إداري، مخاوف مرضية، موت لينتهي المسار الهووي بعد اكتشاف زيف المعوض عند نقطة التحدي والمواجهة من خلال اتخاذ قرار التخلي عن الوهم والعودة إلى الواقع على مرارته.

وإن كان لا يمكن الوقوف عند حيثيات هوى الخوف إلا بالوقوف عند حيثيات العلاقة الجامعة بين الخائف والمخوف أو الذات الخائفة والمهدد هذه العلاقة التي تحددها جملة خصائص بتتبعها نستطيع تحديد التمظهرات الدلالية لهوى الخوف داخل الرواية:

سطوة الشك والقلق:

يعد القلق مكون رئيسي من مكونات الخوف والسبب حالة التحين التي تعيشها الذات فهي تستشعر التهديد في كل لحظة، وهو ما يبقيها في حالة اثارة وترقب لخطر لا تعرف مصدره ولا زمن حلوله وإن كان القلق لا يظهر كهوى مستقل بل هوى قرين وملحق بجملة متنوعة من الاهواء، فلا وجود لهو مستقل دائما هناك نوع من التظافر والتوحد بين جملة من الاهواء، فالقلق يجبر الذات المتخوفة على الحذر دوما، يقول الراوي" **أصبحت لا تنام في سريرها من شدة خوفها من حركات الأسطح الغريبة**"[15].

والخوف يتشبع بالقلق أكثر عندما تكون الذات على علاقة غير مباشرة مع المهدد، إذ يتضاعف الشعور بالتهديد، فالغموض الذي يعمه يزيد من وطأة مخاوف الذات، يقول الراوي" **من يقاتلك؟ لا أعرف لا يملك وجها كلما اقتربت منه وجدته قناعا على قناع، وبدا لي كل الناس مجرمين وأبرياء في الوقت نفسه**"[16] ويقول في موضع آخر في وصفه للمهدد " **إنه بدون وجه أو بكم لا يعد من الأقنعة**"[17]

سيطرة الاحساس بالضعف:

الخوف اقرار مكره بالضعف ويتضاعف تأثيره على الذات عندما تشكل تصور افتراضي عن المهدد بأنه أقوى وأعنف يقابله تصور مضاد وقناعة ثابتة بأن الذات أضعف من أن تقدم على مواجهة هذا المهدد والتحرك ضده، يقول الراوي" **أصبحت هشة جدا لدرجة أني لم أعد أعرف نفسي من يضمن لي أني سأعيش طويلا حتى أراك، أخاف أن يسرقني الموت قبل الأوان في وضع اللاحرب واللاسلم الذي تعيشها مدينتنا**"[18] ويمكننا هنا الوقوف عند العلاقة الجامعة بين الخوف والضعف والجسد باعتبار هذا الاخير المسرح الذي تنكشف عليه كل أبعاد الذات الداخلية والخارجية، وعلى سرحه تؤدي الأهواء والعواطف أدوارها، وبه تتجسد الافعال وردود الأفعال، فطبيعته البرزخية تجلي صراعات الداخل واختلاجاته.

فمن خلال جملة من الأعراض الفسيولوجية نحدد مدى تمكن أي هوى من الذات، فالهوى في علاقته مع الجسد يتحول إلى انفعال باعتباره هذا الاخير حالة نفسية جسدية تعبر عنها ردود الفعل الظاهرة.

وفي رواية مملكة الفراشة نجد بأن الجسد كان علامة سيميائية تدلل على الصراع القائم في أعماق الذوات، كما أنه كشف بقوة عن حجم الضعف والاضطراب الداخلي فما يحصل بالجسم من تغيرات واضطرابات ما هي إلا إشارات عن ما هو بالداخل، فالجسم يفضحه ويكشف مكبوته بوعي منه أو دون وعي يقول الراوي على لسان البطلة" **زادت آلام الرأس. أشعر بثقل في كل شيء بعضهم يسمي هذه الحالة: الشقيقة أي انفلاق الدماغ لكن تسميتها عند طبيبي أخطر- هي سلسلة من الانذارات التي يطلقها الجسد المتعب ليتفطن إلى أن المسألة أصبحت أكثر جدية**"[19]

ولعل الصفة الأكثر تعبيرا عن الذوات في مملكة الفراشة والتي اغدق بها الكاتب على شخوصه صفة الهشاشة والضعف الداخلي التي جعلها سمة مركزية والهشاشة في المعاجم العربية الرقة والضعف وسهولة الكسر يقول الراوي على لسال البطلة في وصفها لذاتها" **أصبحت هشة جدا لدرجة أني لم أعد أعرف نفسي**"[20] وتصف أمها بقولها:" **أمي كانت أكثرنا هشاشة وتضررا مقتل والدي كسرها في العمق على الرغم من أن حياتها لم تكن جميلة معه فقد امتلكها خوف مرضي من رصاصة طائشة قد تأتي على أوهامها وأحلامها وزادها ذعرا مقتل جارتها رايسة الروسية في سوق المدينة**"[21]

فالجسم يفضح ما بالروح من وهن ففي وصف الراوي لريان مثلا يقول:" **كان نحيلا ومنكسرا ومنحنيا إلى الامام ولو ان وجهه على الرغم من اصفراره و الزغب الذي عليه ظلت به بعض الاشراقات الخفيفة**"[22].

وبما أن التخلص من الخوف امر ليس بالسهل فإن الناتج عن هذا الخوف أيضا ليس من السهل التخلص منه. وإن كانت الذات احيانا تحتاج إلى نوع من الاستنهاض والتحدي الداخلي للتخلص من هذا الشعور أو الدخول في تجربة مشابهة للتجربة الاولي للتخلص من عبء هذا الاحساس، فالذات ونتيجة للأزمات التي مرت بها فإنها لا تستطيع أن تتخلص من الانفعالات التي حلت بها جراء تلك الازمات والتي يبقى مصاحب لها حتى بعد زوال مسببه يقول الراوي على لسان البطلة" **وعندما انتهت الحرب الأهلية، فكرت في أن أرجع لحياتي الطبيعية ولكني لم أستطع. لأن حياتي الأولى، ببساطة، ماتت مع الحرب**"[23]

وهنا يكمن قوة هذا الهوى فالإرادة والرغبة بالانعتاق من سيطرة المهدد أضعف من قوة الشعور بالخوف منه، وسيطرته هذه تحد من فعلها وتثبط عزيمتها وإن كان الإقرار بقوة المخوف هنا لا يعني بالضرورة كونها حقيقة فيه، بل في الغالب ضعف الخائف هو ما يصنع قوة المخوف.

وحتى في حالة الاقدام على الفعل فإن احساس بالإخفاق يكون مسيطرا على الذات وهو ما يعيق الإنجاز ويفقدها الايمان بالنجاح والتفوق على المهدد الذي لا يتوانى في ممارسة ترهيبه للذات مما يدفعها للتخلي عن برنامجها قبل تحريكه، يقول الراوي" **مدير الامن المركزي في شرطة المنطقة الشمالية هذا الاخير قال له جملة ظلت عالقة بدماغه:" يا عزيزي زبير انت تنطح حائطا صلبا، لا تلعب بحياتك لك من ينتظرك زوجة وأبناء الزمن الذي نعيشه مجهول وملتبس لا نعرف أبدا من يفعل ماذا؟ لا تعرف من وين تجيك الضربة"**[24]

ويحدث نوع من التواطئ داخل كينونة الذات إذ تحاول اقناع ذاتها بأنها تملك إرادة الفعل ولكن بما أنها لا تملك القدرة عليه فإنها غير مضطرة للمجازفة بمواجهته، فإرادة الكينونة (البقاء) عند الذات متوفرة ولكن ليس بمواجهة المهدد بقدر ما هي بتجنبه وخشيته، وهو ما ينتهي بالذات على حالة من الانسحاب والتخفي.

الخوف والانسحاب:

يتسبب الخوف عادة في حالة من الانسحاب تلجأ إليها الذات كآلية دفاعية نتيجة اقرارها بعجزها عن رد هذا المهدد، ومن علاماته الانطواء والعزلة وعزوف عن القيام بمهات الحياة العادية والإخفاق في القيام بالنشاطات الاجتماعية القائمة على المشاركة، والعجز على تطوير أساليب للتواصل الاجتماعي الايجابي، يقول الراوي على لسان يماما في وصفها لحال والدتها" **اتخذت فريجي قرارا نهائيا بان لا تخرج من البيت لا تقف عند العتبة التي سقط عندها ابي. لا تحادث أحدا لا تزور أحدا ولا تخرج حتى للساحة المكشوفة خوفا من الظلال التي كانت تراها على الأسطح من حين لآخر تركض بلا توقف ودون ان تحدث أي ضجيج وكانها استعارت أرجل القطط ربما كانت تلك الظلال القاتلة تبحث عن شيء غامض لم نكن ندركه وإلا كنا سلمناه لها مقابل ان تتركنا في راحتنا عندما انتهت**

حرب الجنون والمجانين لم نفهم أيضا متى وكيف؟ استمرت الظلال التي قلت نسبيا في تحركها على الأسطح ولكن بشكل خفي يحس ولا يرى"[25]

وعند الخوف وعندما تستشعر الذات التهديد المحدق بها وتقتنع بعجزها، تحل الرغبة بالانسحاب محل الرغبة بالمواجهة التي تتضاءل. إذ تتحول الرغبة من إبعاد التهديد إلى الرغبة في الابتعاد عنه، وهو ما يفتح المجال أمام تنامي مشاعر الاستسلام في مقابل تلاشي مشاعر المواجهة مثلا يقول الراوي على لسان ياما" **مع مرور الأيام أصبحت أنا أيضا أسمع الحركة على الأسطح، فأركض نحو سيف الساموراي لا أدري هل للدفاع عن نفسي والموت بكبرياء، أم لانتحر قبل أن أجد نفسي بين أيدي القتلة"**[26].

ووجود الذات المتخوفة في هذا الوضع يجعلها في حالة من الالم و الضياع فهي لا تبحث عن تحقيق موضوعها المتمثل هنا في الاطمئنان واللاخوف لأن موضوعه الحقيقي هو كيف تبقى(استمرار الكينونة) يقول الراوي على لسان ياما:" **خليني نشوفك على الأقل وأتأكد من أنك حقيقة ولست حلما هاربا... قبل أن يداهمني الموت في مدينة توفره بسخاء"**[27].

فالذات في مملكة الفراشة تصارع وأكبر صراع تخوضه هو صراعها من أجل كينونتها، من أجل بقائها في عالم تسيطر عليه قوى امتهنت العنف وتسلحت بالتهديد والوعيد، فصراع المواقع يظهر المخوف مهيمنا بسبب غياب التكافؤ بين طرفي الصراع وانسحاب الذات الخائفة، والذوات كلها تقريبا في هذه الرواية قد لجأت إلى الانسحاب بشكل أو بآخر بسبب الاوضاع الامنية ولعل من علامات الانسحاب في هذا المجتمع لجوء أبنائه إلى بيع ممتلكاتهم والهجرة يقول الراوي" **اليوم يبيعون ذهبهم لأسباب كثيرة أولها مغادرة البلاد، لقد تعبوا من شيء هم أنفسهم ليسوا قادرين على فهمه"**[28].

وإن كانت بعض الذوات تغطي انسحابها من خلال البحث عن تعويض ما، تحقق من خلاله توازنها الداخلي.

البحث عن الاتزان:

البحث عن التعويض آلية دفاعية تلجأ إليها النفس لمواجهة حالة اللاتوازن، ولصد الشعور القاهر بالعجز تقوم على مبدأ اخفاء المذموم واظهار المحمود، وهو من الحيل

اللاشعورية التي تلجأ إليها النفس لتحقيق الرضى الذاتي والاجتماعي، هدفه البحث عن نقطة ارتكاز بديلة تؤدي إلى إثبات الذات وتأكيد حضورها وقوتها والتقليل من ضغط الحالة النفسية اللامتوازنة عليها.

وفي رواية مملكة الفراشة ونتيجة للاضطراب الذي تعيشه الذات وكذا سيطرة الاحساس بالضعف والاحباط عليها، فقد عمدت إلى البحث عن تعويض يسد الفراغ ويحدث التوازن. ونظرة بسيطة على الرواية نصل من خلالها إلى أن كل الذوات قد وجدت تعويضها الخاص فالأب ونتيجة لعدم قدرته على الوقوف بوجه عمليات التحطيم الممنهج لصيدال، أسس مخبره الخاص بقبو المنزل. يقول الراوي على لسان البطلة ياما" **والدي كان يعيش في قارة لا شيء فيها إلا رائحة الأدوية وسلسلة لا متناهية من المعادلات الكثيرة والغريبة**"[29] أما الأم فقد لجأت إلى عالم بوريس فيان الروائي يقول الراوي" **أصبح بوريس فيان حقيقتها الوحيدة**"[30]

أما ياما فعندما عجزت على تحقيق موضوعها الرئيسي وهو الأمن والاطمئنان في العالم الواقعي لجأت إلى العالم الافتراضي، فالأول أصبح بالنسبة إليها عالما مغلقا في حين أصبح الثاني على انغلاقيته عالما مفتوحا تقول:" **أحب الفيسبوك لأنه يربطني بالعالم الخارجي المغلق وأخافه أيضا لاني التصقت به في كل الأوقات لدرجة أني ادمنته**"[31]، فهذه الفسحة الافتراضية قد أصبحت ملاذها من الوحدة والخوف والاحساس القاهر بأنها بدأت هي الأخرى تدخل دوامة الهلاوس البصرية والسمعية تقول" **شيء أكبر مني يدفعني نحوه نحو هذه الزرقة التي جعل منها مارك زوكيربورغ سكنا لكل العابرين بلا زاد ولا خوف**"[32] فعدما فقدت التواصل مع المقربين منها وأصدقائها بسبب الموت أو الهجرة عوضت ذلك باللجوء إلى ربط علاقات صداقة وحب مع أشخاص افتراضيين لا تعلم أصلا إن كانوا حقيقيين أم وهميين. وهذا لغياب البديل الحقيقي الذي يمكن ان تلجأ إليه مع وقوعها في دوامة الاضطراب تقول:" **أنا لا أملك الأسلحة الجبارة التي أقاوم بها خوفي ووحدتي، إلا هذه المملكة الزرقاء التي تسمى فيسبوك**"[33]

وفي مثل هذه المواقف الغاية الأساسية هي تأكيد الذات عبر عمل ما أو سلوك أو موقف أو حتى كلمة.

ويعد التفوق والنجاح من أيضا من أهم البدائل التي تلجأ إليها الذات لتحقيق توازنها ففي الرواية نجد بأن ياما قد حاولة أكثر من مرة تعويض اضطرابها بالنجاح من خلال إعادة فتح الصيدلية بعد حرقها وكذلك تأسيس شركة استيراد أدولية بمعايير علمية وعالمية صحيحة، وإعادة بعث فرقة دبوجاز، وغيرها من النجاحات التي كانت معوضا لها على النقص النفسي الذي تعاني منه، وهي حالة من التسامي على موضوع الاضطراب

فهناك ذات خائفة وفي الوقت ذاته هي باحثة عمقيا عن الفرحة في أبسط الاشياء هي مترددة ويائسة أحيانا ولكن مع ذلك تبادر وتقدم وتقاوم إلى أن تنتهي في الأخير إلى الاقتناع بمواجهة هذا التهديد والتخلص من الخوف الذي يسكنها عبر المجازفة بالحياة ومواجهة بالواقع على مرارته وقسوته، فالذوات في رواية مملكة الفراشة رغم اضطراب الداخلي إلا انها كانت تحاول التملص من واقعها، وإن كانت تظهر أحيانا ممارسة لهذا التملص ولكن دون وعي منها فعلى الرغم من الحزن والحرب تظهر الموسيقى والاهتمام بالفن والمثابرة في العمل كأننا نلاحظ نوعا من التسامي عن هذا الحزن المسيطر.

الهوامـش:

1- غريماس وفونتاني: سيميائيات الأهواء- من حالات الأشياء إلى حالات النفس، ص 15.
2- غريماس وفونتاني: سيميائيات الأهواء- من حالات الأشياء إلى حالات النفس- تر: سعيد بنكراد، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، 2010، ط1، ص 13.
3- سورة القصص، الآية 50.
4- سورة المائدة، الآية 49
5- الانجيل: رسالة بولس الرسول إلى أهل إلى أهل كولوسي 3.
6- غريماس وفونتاني: سيميائيات الأهواء- من حالات الأشياء إلى حالات النفس، ص 10.
7- غريماس وفونتاني: سيميائيات الأهواء- من حالات الأشياء إلى حالات النفس، ص 09.
8- غريماس وفونتاني: سيميائيات الأهواء- من حالات الأشياء إلى حالات النفس، ص 11.
9- علي الجرجاني: كتاب التعريفات، تح: ابراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، لبنان، 1405هـ، ط1، ص 137.
10- سورة: آل عمران، الآية : 175.
11- سورة: المائدة، الآية: 3
12- واسيني الأعرج، وراية مملكة الفراشة، ص 10.
13- الرواية، ص 21.
14- الرواية، ص 70.
15- واسيني الاعرج: مملكة الفراشة، ص 143.
16- الرواية، ص 93.
17- الرواية، ص 92.
18- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص 26.
19- الرواية، ص 42.
20- الرواية، ص 26.

21- الرواية، ص 126.
22- الرواية، ص 188.
23- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص 245.
24- الرواية، ص 66.
25- الرواية، ص 126.
26- الرواية، ص 127.
27- الرواية، ص 24.
28- الرواية، 83.
29- الرواية، ص 37.
30- الرواية، ص 146.
31- الرواية، ص 44.
32- الرواية، ص 44.
33- الرواية، ص 24.